مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة التاسعة عشرة – العدد 53 – 30-1-2024م

Volume 19th - issue no. 53 - 30/1/2024

Pages:47 -58 الصفحات: 47-58

إعجاز القراءات القرآنية في قوله تعالى {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}

Miraculousness of the Qur'anic forms of recitation -Al-Qira`at- in the saying of Almighty Allah: (And take the standing-place of Abraham as a site of prayer)

د. إبراهيم بن محمد السلطان

Dr. Ibrahim bin Muhammad Al-Sultan

الأستاذ المشارك في قسم القراءات – الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

Associate Professor in the Readings Department

At the College of the Holy Quran – Islamic University of Madinah

Email: Dr.ibrahim.Alsultan@gmail.com

اعتمادات

د إبراهيم بن محمد السلطان

الأستاذ المشارك في قسم القراءات، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، قسم القراءات
المملكة العربية السعودية

Dr Ibrahim bin Muhammad Al-Sultan
Associate Professor in the Readings Department
At the College of the Holy Quran

Dr.ibrahim.Alsultan@gmail.com

إعجاز القراءات القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾

Miraculousness of the Qur'anic forms of recitation -Al-Qira`at- in the saying of Almighty Allah: (And take the standing-place of Abraham as a site of prayer)

ملخص البحث

الموضوع: إعجاز القراءات القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

ينطـق هذا الموضوع من قاعدة عنـد العلماء وهي: أن القراءتين بمنزلـة الآيتين؛ ومفادها أن كل قـراءة وردت ودلـت على معنى فهي آية مستقلة والقراءة الأخـرى في نفس الآيةِ آيةٌ مستقلة أخرى، وهكذا.

لـذا كان مـن المهم تمييز كل قراءة وتفسير الآية بإزائها واستنباط المعاني منها وبيان وجه إعجازهـا وربـط ذلك بما جاء في كتاب الله وسنـة رسوله ﷺ؛ وهو ما تم في هذا البحث في قول الله تبـارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾؛ فالقـراءات الواردة في لفظ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ كل واحدة منها تدل على معنى مختلف عن معنى القراءة الأخرى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

وقد سبر البحث أقوال العلماء في أوجه إعجازها، وربطها بتوجيه القراءات وتفسير آي كتاب الله؛ واجتهد في استنباط الوجه الذي تؤيده الأدلة وتعضده المعاني.

الكلمات المفتاحية: إعجاز، القراءات، ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾.

Abstract

Topic: Miraculousness of the Qur'anic forms of recitation -Al-Qira`at- in the saying of Almighty Allah: (And take the standing-place of Abraham as a site of prayer).

This topic is based on a rule according to scholars, which is that the two forms of recitation -Al-Qira`at-, are equivalent to the two verses of holy Qur'an.

This means that each form of Qur'anic recitation that indicates a meaning is regarded as a single verse, and any other form in the same verse is regarded as another single verse, and so on.

Therefore, it is important to distinguish each form of Qur'anic recitation and exegete the verse based on it, extract meanings from it, explain its miraculous nature, and link that to what was stated in the Book of Allah and the Sunnah of His Messenger, peace and blessing of Allah be upon him This is what was done in this research in the saying of Almighty Allah: (And take the standing-place of Abraham as a site of prayer); The form of qira'a that contained in the word: (Ittakhidhu) each of them indicates a meaning different from the meaning of the other form of qira'a, a difference of diversity, not a difference of contradiction.

The research collected the sayings of the scholars regarding their miraculous aspect, and linked them to directing of qira'at, exegeting the book of Allah, and striving to derive the aspect that is supported by the evidence and meanings.

Keywords: miracle, Qira`at, (Wattakhidhu).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، والسراج المبين، محمد ابن عبد الله عليه أفضل صلاة، وأزكى تسليم، وعلى آله وصحبه، ومن استنّ بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً، وبعد،،،

فالقرآن -كما لا يخفى- معجزة المصطفى ﷺ، وبه تحدى الله العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله أو بجزء منه، فلم يستطيعوا.

ولفظ القرآن يشتمل على القراءات التي نزلت من الله تبارك وتعالى وقرأ بها رسول الله ﷺ؛ لأنها جزء منه؛ فهي معجزةٌ؛ لأنها من القرآن؛ والقرآن كلام الله تبارك وتعالى.

ثم إن هذا البحث مبنيٌ على قاعدة عند العلماء وهي: أن القراءتين بمنزلة الآيتين؛ ومفادها أن كل قراءة وردت ودلت على معنى فهي آية مستقلة، والقراءة الأخرى في نفس الآيةِ آيةٌ مستقلة أخرى، ولذا وجب البحث في أوجه إعجاز كل قراءة لأنها آية مستقلة.

وهذا البحث اجتهاد في التماس وجه الإعجاز في القراءات القرآنية التي تضمنها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ والنظر في أقوال العلماء فيها، والربط بين توجيه القراءات وتفسير الآيات وجمع ذلك مع الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ثم استخلاص الوجه الذي مال البحث إلى ترجيحه كوجه للإعجاز.

وأتطلع من خلال هذا البحث إفادة المختصين بمعاني واستنباطات في ضوء هذه القراءات، والله أسأله جل جلاله أن يفتح أبواب فضله وكرمه وجوده وإحسانه، وأن يكتب لي الصواب فيما قلت إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ إن من الأهمية بمكان استنباط أوجه إعجاز القراءات؛ لأنها بتعددها وتغايرها تجعل من تفسير كل آية فيها قراءات مختلفة معنىً مغايراً لتفسير معنى الآية على القراءات الأخرى فيها، وهذا مما يولد المعاني الجديدة الصحيحة من كلام الله تبارك وتعالى.

٢ أن القراءات الصحيحة حوت كثيراً من الأوجه الإعجازية، عندما يتم ربط توجيهها بتفسير الآيات مع مراعاة الأدلة النقلية والعقلية.

٣ أن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وجدت فيه أوجه إعجاز فريدة أحببت إبرازها وإتحاف أهل التخصص بها.

٤ أن البحث في مجال الإعجاز في القراءات في كتاب الله -تبارك وتعالى- لا يزال معيناً لا ينضب، فالباحثون اجتهدوا في ذلك، وكل منهم أخذ نصيبه، ولا زال المجال رحباً وكتاب الله لا تنقضي عجائبه.

٥ أن الجمع بين علم توجيه القراءات وبين التفسير مجال وافر المعاني، عظيم الفائدة كثير النفع؛ ومن خلاله تستنبط الحِكَم والأحكام.

الدراسات السابقة:

سبق إلى بذل الوسع في التماس وجه الإعجاز في الآية الكريمة من خلال القراءات عدد من أهل العلم كابن خالويه من المتقدمين، ومن المعاصرين: الطاهر ابن عاشور ومحمد أحمد الجمل.

غير أن الباحث كان له وجهة نظر بعد جمع كلام أهل العلم حول هذه الآية من خلال تفسيرها وتوجيهات العلماء للقراءات فيها؛ فجاءت فكرة هذا البحث الذي التمست فيها وجه الإعجاز في

هذه الآية من خلال القراءات التي فيها.

هـذا والحمـد لله أولاً وآخرَ، وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفتح علي فيما عزمت عليـه وأن يوفقنـي لحسن القصد، وأن يغفر لنـا ولوالدينا ولجميع المسلميـن والمسلمات الأحياء منهم والأموات.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرسين.

المقدمة وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

والدراسات السابقة.

وخطة البحث.

ومنهج البحث.

وأما المبحث الأول: القراءتان الواردتان في الآية، وأهم توجيهات العلماء لها.

وأما المبحث الثاني: اجتهادات العلماء في التماس وجه الإعجاز في الآية.

وأما المبحث الثالث: إثبات وجه الإعجاز في الآية من خلال القراءات.

ثم الخاتمة.

ثم فهرس للمصادر والمراجع.

وفهرس للموضوعات.

منهج البحث:

منهجي في هذا البحث يتمثل في الآتي:

١. كتابة البحث حسب قواعد الإملاء الحديثة.

٢. الاعتماد في كتابة الآيات على الرسم العثماني.

٣. توثيق النصوص والنقولات من مصادرها المعتبرة.

٤. أخرج القراءات من الكتب الأصيلة في التخصص، وأنقل كلام العلماء عليها.

٥. عنـد رجوعي لقواميـس اللغة ومعاجمها أذكر المادة اللغويـة واتبعها بالجزء والصفحة، كما أني لا أترجم للأعلام الواردين في النص.

٦ أخرج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية.

المبحث الأول:

القراءتان الواردتان في الآية الكريمة، وأهم توجيهات العلماء لها[1]

القراءات في الآية كما يلي:

في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ قراءتان، فالقراءة الأولى قراءة نافع وابن عامر والحسن بفتح الخاء، والقراءة الأخرى قراءة الباقون بكسر الخاء[2].

توجيه القراءة الأولى (بفتح الخاء):

على أنه فعل ماضي والجملة مسوقة للإخبار، فإما أن يكون الفعل معطوفاً على مجموع ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ «إذ» والفعل بعدها[3]، وهذا على ما قعَّده أهل البصرة[4]، وإما أن يكون الفعل معطوفاً على فعل «جعلنا» فقط، ولا نحتاج لتقدير (إذ) قبل الفعل، وهذا على ما قعده الكوفيون[5].

فأما على تقدير البصريين فيمكن حمل الآية على عدة معاني مقدَّرة، وهي:

«وإذ اتخذ متبعوا إبراهيم -عليه السلام- من مقامه مصلى»[6].

وعلى هذا يكون الإخبار عن الأُمم السابقة للمسلمين، واختار هذا أبو شامة -رحمه الله- في «إبراز المعاني»، وأشار إلى أن فيه تنبيه للمسلمين على أن هذا شرع لمن قبلهم، وشرع من قبلهم شرع لهم[7].

ولم يرتض ذلك مكي -رحمه الله-، واعتبره «مردود بما قبله من الخبر وما بعده؛ لأن ما قبله وما بعده هو تذكير للنبي ﷺ، والتقدير: واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم، فكله خبر فيه معنى التذكير والتنبيه لما كان؛ فيحمل على ما قبله وما بعده»[8].

«وإذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم -عليه السلام- مصلى»[9].

وهو الذي ارتضاه مكي، ومن معه -عليهم رحمة الله-.

---

(١) يلحظ هنا أني ذكرت القراءات التي تؤثر في معنى الآية، وأهملت ما سوى ذلك

(٢) انظر: التيسير ص (٦٢)، والسبعة ص (١٧٠)، والإتحاف ص (١٩٢).

(٣) انظر: البحر المحيط ص (٥٩٦/١).

(٤) انظر: جامع البيان ص (٥٢٢/٢)، وانظر: معاني القرآن للأخفش ص (١١٣).

(٥) انظر: جامع البيان ص (٥٢٢/٢)، وانظر: معاني القرآن للفراء ص (٧٧/١).

(٦) انظر:المحرر الوجيز ص (١٥١/١).

(٧) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني ص (٤٨٥).

(٨) انظر: الكشف ص (٢٦٣/١).

(٩) انظر: البحر المحيط (٥٩٦/١)، وانظر: روح المعاني (٣٦٨/١)، وانظر: الكشف ص (٢٦٣/١).

«وإذ اتخذ أصحابك يا محمد من مقام إبراهيم -عليه السلام- مصلى»[1].

وأما أهل الكوفة فإنهم لم يحتاجوا إلى أن يقدروا «إذ» مع الفعل؛ لأنهم عطفوا الفعل على فعل ﴿جَعَلْنَا﴾، وليس على مجموع ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾، وعلى هذا فالتقدير على ما قعَّدوه: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس واتخذوه مصلى»[2].

توجيه القراءة الثانية (بكسر الخاء):

على قولين:

القول الأول: أن الفعل ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ فعل أمر[3].

القول الثاني: معطوف على قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾[4].

ولم يرتضي القول الثاني ابن جرير -رحمه الله- وردَّه، واعتبره مخالف لما ورد في حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- حيث قال: قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: وافقت ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهم البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيرا منكن) فنزلت كذلك[5].

واختلف أهل التأويل في مَنْ هو المأمور في هذه الآية، على أقوال:

القول الأول: «أن المأمور بذلك هو إبراهيم -عليه السلام- وذريته، أي: وقال الله لإبراهيم وذريته اتخِذوا.

القول الثاني: أن المأمور بذلك هو النبي ﷺ وأمته، أي: وقلنا اتخذوا»[6].

وعلى كلٍ من هاذين القولين فالفعل ﴿اتخِذوا﴾ معمول لقول محذوف، وتفسير هذا القول المحذوف على القولين كما يلي:

على القول الأول: يكون التقدير: وقال الله لإبراهيم، فيكون نبي الله إبراهيم -عليه السلام- مأمورا بذلك، وذريته تبع له.

وأما على القول الثاني: فيكون التقدير: «وقلنا اتخذوا»[7].

---

(١) انظر: الكشف ص (٢٦٣/١).

(٢) انظر: جامع البيان ص (٥٢٢/٢)، وانظر: معاني القرآن للفراء ص (٧٧/١).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ص (٧٧/١)، وانظر: جامع البيان ص (٥٢٢/٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز ص (١٥١/١).

(٥) صحيح البخاري، كتاب بدأ الوحي، حديث رقم (٤٠٢).

(٦) انظر: البحر المحيط ص (٥٩٦/١).

(٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص (١٩٢).

واختلف أهل التأويل أيضاً في تفسير ﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ على عدة معاني:

الأول: «أن يراد به الحجر الذي قام عليه إبراهيم -عليه السلام- حين ارتفع بناؤه، وضعف عن رفع الحجارة، وهو الذي رجحه ابن جرير، أبو حيَّان[1] وغيرهما، لأن حديث عمر بن الخطاب المتقدم يعضده.

ويعضده أيضاً حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى مقام إبراهيم قرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فصلى ركعتين[2].

الثاني: أن يراد به المسجد الحرام.

الثالث: أن يراد به الحج كله.

الرابع: أن يراد به عرفة والمزدلفة والجمار.

الخامس: أن يراد به الحرم كله»[3].

السادس: أن يراد به الكعبة[4].

واختلف أهل التأويل أيضاً في معنى ﴿مُصَلًّى﴾ على أقوال:

القول الأول: «قبلة.

القول الثاني: موضع صلاة.

القول الثالث: موضع دعاء، أي: مدَّعى»[5].

وجَمَعَ بين هذه الأقوال ابن عطية -رحمه الله- فقال: (و﴿مُصَلًّى﴾ موضع صلاة، هذا على قول من قال: المقام الحجر، ومن قال بغيره قال: ﴿مُصَلًّى﴾ مدَّعى، على أصل الصلاة)[6]؛ ولأنه ثبت قيامه -عليه السلام- على الحجر، ولم يثبت على غيره.

---

(١) انظر: جامع البيان ص (٥٢٢/٢)، وانظر: البحر المحيط ص (٥٩٦/١).

(٢) سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، القراءة في ركعتي الطواف، حديث رقم (٢٩٦٣).

(٣) انظر:جامع البيان ص (٥٢٢/٢)، وانظر: البحر المحيط ص (٥٩٦/١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير ص (٦٩١/١)؛ قال ابن عاشور: «...ومقام إبراهيم يطلق على (الكعبة)؛ لأن إبراهيم كان يقوم عندها يعبد الله تعالى ويدعو إلى توحيده».

(٥) انظر: جامع البيان ص (٥٢٥/٢)، وانظر: البحر المحيط ص (٥٩٧/١).

(٦) انظر: المحرر الوجيز ص (١٥٢/١).

المبحث الثاني

اجتهادات العلماء في التماس وجه الإعجاز في الآية

قد سُبِقْتُ لمحاولتين في التماس وجه الإعجاز للقراءتين في الآية الكريمة، المحاولة الأولى من صاحب «الحجة» ابن خالويه، والثانية للطاهر بن عاشور، وهما متعاكستان متغايرتان -كما سترى-، وهاتان المحاولتان هما:

المحاولة الأولى:

محاولة ابن خالويه حيث اعتبر أن للقراءتين وقتا نزول:

فتكون القراءة بفعل الأمر نزلت أولاً آمرةً للنبي ﷺ باتخاذ مقام إبراهيم مصلًّى، فامتثل رسول الله ﷺ وأصحابه ذلك، ثم نزلت القراءة الثانية في العرضة الأخيرة إخباراً عن أمر مضى فَعَلَه رسول الله ﷺ والمؤمنون معه امتثالاً لأمر ربهم، فجاء الإخبار عنهم بصيغة الماضي[1].

المحاولة الثانية:

محاولة الطاهر بن عاشور -رحمه الله- حيث ذكر أن لفظ ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ معناه الحجر كما مرَّ سابقاً، ولكنه أشار إلى أن القراءة الأولى بلفظ الماضي كانت إخباراً عمَّا كان عليه العمل زمن إبراهيم -عليه السلام- فقد كان المقام مشمولاً بالصلاة لا مقصوداً بها؛ لأن إبراهيم -عليه السلام- كان قد بنى المسجد الحرام حول الكعبة، وصلى فيه عند المقام، وصلى أتباعه كذلك، ولم يكونوا يقصدون المقام بالصلاة، ولكنه مشمولاً بفعلهم ذلك.

فلما جاء رسولنا الكريم ﷺ، ودخل المسجد الحرام في حجة الوداع، ومعه الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقال لرسول الله ﷺ: «لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى» فنزل الأمر بذلك في قراءة الكسر ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فنزل شَرْعُ الصلاة عند حجر المقام بعد أن لم يكن مشروعاً لهم، ففيه معنى التشريع للمسلمين[2].

محاولة أخرى:

وقد حاول الدكتور محمد أحمد الجمل، في كتابه «الوجوه البلاغية للقراءات القرآنية» في إيجاد وجه الإعجاز في تلك القراءات في الآية، وإليك محاولته:

فقد ذكر أن قراءة الماضي تفيد قِدَم التعظيم للبيت الحرام، ولمقام نبي الله أبينا إبراهيم -عليه السلام-، وإظهار خصوصية المكان، وإشارة إلى عتق الكعبة قبلة المؤمنين الأولى، من لدن إبراهيم إلى رسولنا -عليهم الصلاة والسلام-.

---

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع ص (٨٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير ص (٦٩٢/١).

وأن قـراءة الأمـر فيها توجيـه للمؤمنين بأن يحذوا حـذو من سبقهم من الأمـم في العناية بالمقام، وتأمرهم بالصلاة فيه[1].

وهـذه المحاولة فـي نظري لم تلامس مناقشـة لمدلول الآية، ومفرداتها، مـع ما تحويه من معاني، فهي ناقصة، والله أعلم.

المبحث الثالث

إثبات وجه الإعجاز في الآية من خلال القراءات

إن المطلع على التوجيه السابق للقراءات يلحظ أمراً مهماً ألا وهو أن القراءات تُحْمَل على ما يُفسـر بـه لفظاً ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ و ﴿مُصَلًّى﴾؛ فتفسير الآية بكل قراءة يدور مع الأقوال في تفسير هذين اللفظين وجوداً وعدماً، ولما كان ذلك كذلك كان لزاماً أن يعتمد المفسر على القول الراجح في معنى كل لفظ منهما، والترجيح كما يلي:

الترجيح في لفظ ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾:

أنـه الحجر الذي قام عليه إبراهيم -عليه السلام- حين ارتفع بناء الكعبة، وضعف عن رفع الحجارة، وهو الراجح الذي اعتمد عليه كثير من العلماء من السلف المتقدمين من أهل التفسير، وكذلـك الخلف أهل العلم بالتأويل -عليهم رحمة الله جميعاً-؛ لأن حديثي عمر وجابر -رضي الله عنهما- يعضدان ذلك -كما مر-.

الترجيح في لفظ ﴿مُصَلًّى﴾:

أنه موضع صلاة، ولفظ «الصلاة» يحتمل المصطلح اللغوي وهو الدعاء، ويحتمل المصطلح الشرعـي وهو الصـلاة المخصوصة المفتتحـة بالتكبيـر والمختتمة بالتسليـم، وكلا الاحتمالين تعضدهمـا القـراءات في الآية -كما سيأتي-، ويعضدهما ما جاء فـي الحديثين الماضيين أيضاً، واللفظين يحكم فيهما سياق الآية، والله أعلى وأعلم.

وأما ما توصلتُ إليه من وجه الإعجاز من خلال القراءتين، فهو ما يلي:

القراءة الأولى:

أن القـراءة الأولى التـي بصيغة الماضي فيها تذكير للنبي ﷺ بمـا كان عليه حال إبراهيم -عليـه السلام- وأتباعـه حيث كانوا متخذين من مقـام إبراهيم -عليه السـلام- موضع صلاة، وكانـوا قاصدين لاتخاذ ذلك موضعـاً؛ والصلاة حينئذ: الدعاء؛ لأن الصلاة كان معناها في زمن إبراهيم -عليه السلام- الدعاء، ولا يراد بها ما نعرفه من المصطلح الشرعي.

وفـي هذه القراءة تنويه بعظمـة المكان منذ الأمر ببنائه أولاً، وحتـى زمننا الحاضر، وفيها

(١) انظر: الوجوه البلاغية ص (٣٩١).

ذِكْرُ سنَّة الخليل -عليه السلام- أَبَ البشر، وعظيم عمله بالبناء، والعبادة.

القراءة الثانية:

القراءة الثانية آمرة للنبي ﷺ وأمته؛ بأن يتخذوا من مقام إبراهيم -عليه السلام- موضع صلاة قَصْداً لذلك، والمراد بالصلاة حينئذ ما نعرفه من المصطلح الشرعي -الصلاة ذات الأفعال المخصوصة-؛ فأمروا أن يستنوا بأبيهم إبراهيم -عليه السلام- في اتخاذه المقام موضعاً للصلاة؛ والتي كان معناها الدعاء في شريعته، وشريعة أبيهم إبراهيم -عليه السلام- شريعة لمن بعده، قال تعالى بعد أن ذكر الأب إبراهيم، ثم عقب بذكر أبنائه الأنبياء من بعده: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾.

وهذه القراءة أتت بالأمر للنبي ﷺ ولأمته؛ باتباع سنة الخليل إبراهيم -عليه السلام-، في تعظيمه للمقام، واتخاذه موضعاً للعبادة.

وقد فعل رسول الله ﷺ -كما مر- في حجة الوداع من حديث جابر وعمر -رضي الله عنهم أجمعين- اتباعاً لسنة أبيه إبراهيم -عليه السلام-؛ فقد صلَّى النبي ﷺ ركعتين خلف المقام بعد طوافه، وأمر ﷺ أمته باتباعه في ذلك، وفي أفعال الحج والعمرة عموماً.

وانظر إلى الإعجاز في الإيجاز حين تغيرت حركة واحدة في الكلمة على كل قراءة فاجتمع في هذه الآية عصرين من العصور، وشريعتين من الشرائع، ونبيين من الأنبياء، وأمر وإخبار، وتشريف وتكريم.

وهذا كله من خلال القراءتين في هذه الكلمة، فيا لله كم هذا الكتاب معجز، وكم به من يقين وبرهان على حقائق الإيمان.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخر، والصلاة السلام على النبي المصطفى والخليل المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى،،، وبعد:

فإن الوقت المبذول في تأمل كلام الله وتدبره لمن أعظم ما يزيد في الإيمان، ويرفع المرء في درجات الجنان، نسأل الله من فضله.

وإني حين كتبت هذا البحث رأيت عن قرب هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى فرائده على مر الجديدين، كتاباً منقطع النظير، وجوهراً ليس له مثيل، عجباً عجاب، ونبع سلسال.

وبعد أن تبين لي ذلك عين اليقين، رأيت أن ما يقوم به كثير من الناس من التسرع في الحكم على معانيه لمن أعظم الخطر، فألفاظه ومعانيه دقيقة، وما هذا البحث إلا أقل مثال على ذلك، فهو في قراءة واحدة، وكما رأينا فإنه لا يمكن الحكم من مجرد عرض القراءات في الآية فقط، بل لا بد من عرض أقوال المفسيرين، واستقرائها.

ثـم النظر في توجيه تلـك القراءات في الآية، وتفسير الآيـة بقراءاتها، ومدلولات ألفاظ كل مفردة في الآية على حدة، وما يناسب مما لا يناسب؛ مما يعضده الدليل، ويحتمله السباق واللحاق.

وبعد هذا أتقدم بتوصية وهي: إعداد دراساتٍ في القرآن تجمع بين التوجيه والتفسير في كل قـراءة على حدة مما يختلف معانيه منها، والتوصلٍ إلـى مدلولاتها من المعاني العميقة، والألفاظ الجميلة.

هـذا والله أسأل أن يكتب لي التوفيق للحـق، وأن يعصمني من زيغ الزلل، وجهل الخطل، إنه سميع مجيب قريب.

والحمد لله رب العالمين، وصلاة ربي وسلامه على الهادي الأمين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

إتحـاف فضلاء البشر فى القـراءات الأربعة عشر، لشهاب الديـن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٩هـ١٩٩٨م، ط الأولى.

جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت-لبنان.

كتـاب السبعـة في القـراءات، لأحمد بن مجاهد، تحقيـق د شوقي ضيـف، دار المعارف - القاهرة، ١٤٠٠هـ، ط الثانية.

التيسير فى القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ط الثانية.

معانى القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش.

المحرر الوجيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي.

معانـي القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفـراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠ هـ.

روح المعانـي في تفسير القـرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ.

الجامـع الصحيـح، لمحمد بـن إسماعيل بن إبراهيم بـن المغيرة البخـاري، دار الشعب - القاهرة، الأولى ، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م .

المجتبى من السنن، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة،

مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط الثانية ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م.

الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق د عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، ط الرابعة ١٤٠١هـ.

الوجوه البلاغية في القراءات القرآنية، للدكتور محمد أحمد الجمل، جامعة اليرموك، الأردن - عمان.

التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة المقدسي، تحقيق إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.